دار ياقوت للنشر والتوزيع الإلكتروني
رسائل
لم
ترسل
رسائل
"تلك رسائل سنبقى حبيسة دفتري"
أستير ثابت
تحت إشراف: فاطمة محمد ياقوت
تأليف: أستير ثابت
رسائل لم ترسل
ياقوت للنشر والتوزيع الإلكتروني

عندما يقع هذا الكتاب بين رَاحَتَي كفَّيكَ سأكون وقتها ناظرًا للسماء، أستمع إلى ما أهديتني مِن أغاني، أبكي واضحك وأُناجي ربي أن أكون معكَ، فمِن أجلكَ أنا كتبتُ، وغازلتُكَ بكلِماتي قبل عيناي؛ حتى يَرِقُ قلبكَ لحبري، ولُربما تصلك أحرُفي أسرع مني

من قطوف روحي إليكَ..
سيدي، إلى أن نلتقي، إلى أن أستطيع البوح لكَ بِكُل ما يُثقلُ قلبي
سأترُكُ لكَ تلك الرسائلِ هُنا وأعدك ألا يجف قلمي

أنتَ تعلمُ كيفَ تصنعُ قهوتي، وكيفَ تجعلَ طعمَها يملؤه طعمُ المرارةِ والندمِ، معلقتانِ من كلِّ شيءٍ أخذتُه منكَ، ومعلقتانِ من كلِّ شيءٍ أخذته أنتَ مني، من ذكرياتي التي سرقتُها إلى آمالي التي طمستها أنتَ بأياديك، وتركتني هكذا لا يُغلفني شيءٌ سِوى رائحة الأسىٰ والتردد، وأشرب مرارةَ الحنين والخيبةِ مع كلِّ رشفة.

أتسائل عَما سيحدث إذا أستمررتُ في كبح غضبي واستيائي،هل سأرى شيئًا يَلغي كُل مبادئي ويُخرج أسوأ ما بداخلي، هل سأقول وقتها ما أشعر به حقا؛ إنني غاضب من كُل شيءٍ حولي حتى بعد رحيلهم عني فأنا ما زلتُ تحت تأثيرهم، رُبما خطأي أنني توقعت أنهم سيُدركون فداحة خطئهم تجاهي وسيأتون هرعًا لتهدئة غضبي ولكنهم تركوني وحدي أتحمل لومي لنفسي، ولا أقوى على التعبير عن هذا الغضب إلا بالبُكاء، أن تبكي بحُرقة كما لم تبك من قبل، وتتوارى من أنظارهم حتى يُسيطر الضباب على عقلك فلا تعلم مايدور حولك وتُدرك أن راحتك ليست في قُربك منهم ولا في بُعدك عنهم

كانت ملامحه تجلب الفتنة لقلبي، كان مُزِهرٌ الي حدٍ لم أُدركه وقتها لم أشعُر حتى بنبضي عندما ظَل ينظر لي وأنا أرى قلبه في عيناه كُل شيءٍ توقف وقتها، كلامه المعسول ظل في خاطري رغم قِلة تذكري؛ تذكرتُ كُل حرفٍ نطق به لسانه، وقتها عَلِمتُ إنني أهوى بِه وأهواه حد اليقين وإن كُنت أدعي عدم الرؤية لمشاعركَ، وإن كُنت لا أُبصر فالحُب يبُصر ولذلك مشيتُ لكَ لإنني مؤمنًا بالحبِ وبكَ وعلى أتم الأستعداد أن أُحارب بكَ الأهل والقبيلة وإن كُنت مُحِبًا لكَ عن بُعدٍ، وإن كان الحُب الذي نعلمه لم نعرف عنه إلا صعوبته فإنني مُنتظر أن يكتمل نُقصان حكايتنا وأن نلتقي بعد فُرقة وبدلاً من أن أسير بروحين معي تسير أنتَ معي

ياحبيب القلبُ، طيفكَ يحوم حولي، ثُم إنني كُلما حاولتُ الهروبَ مِنهُ؛ أجدني بين طياتِ التذكُرِ والتفكُرِ ولأنني لا أعلم لماذا إلتقينا من الأساسِ ولماذا إنتهينا بالعراكِ وكُلٌ مِنا ذهب لطريقه، ولكن ما أعلمه أنكَ رحلت ببعضي فمن لي بَعدُكَ،إنني أستخرتُ الله كي أبوحَ لكَ بِما في قلبي،رُبما لم يصلك ردي بَعد ولكن حروف اللغة جميعها تعجز عن وصف ما فعلتَهُ بقلبي

وحده فاقد الحبُ جدير بأن يَكتُب عنه وحده يعلم لوعته في تلك الرسائل المجهولة وهي مُلقاة على مكتبه فا أي حُب قد يدوم من دون أن يَشهد عليه الورق ولكني أخشى تَعطُل البريد وتموت أحرُفي وهي تنتظر أن تقرأها ولهذا فضلت أن تكون مجرد رسائل مجهولة مُجرد شِعرٍ لقلبكَ ولعيناكَ تقرأ ولكن من دون أن تَعلم أنكَ المقصود أليس ذلك أجمل رُبما تغار من فكرة إنني أُغازل غيرك رغم أن كل الحروف تَقصُدك ولكني أنتقم منك لعدم قرائتك لرسائلي وسأُخبئها عنكَ حتى تقول أُحِبُكِ وقتها سأُهدي لكَ قلبي بكل ما به من حروف ليُخبركَ بها علي مَهلٍ لإني لا إريد من حالة الشغَف أن تُفقد ولكي يظل صوتي يُحدث ضجيج بكَ، تَعلم أُحبكَ وأنت مُبعثر

يا سيدي
مِثلي إن أحبَّ لا يُفارق، مَن يُغرم بعينيكَ لا يُناظر غيرهم، عنكَ لا يكفي حديث، ولكن عيناي عندما أنغمسُ في الحديثِ معكَ أقلُ ما يُقال عنها إنها تُضيء

أتلو عليكَ سطور قلبي المُحِب،وأجعلُ عيناكَ تنطقُ بِمَا لم تنطق أنتَ بِهِ، لآتي لكَ مُحمَّلا بكُل كلِماتِ الحُبِ لأُخبركَ أن قلبي في وجودكَ هادئ كأنه لم يُكسر قَطّ

عزيزي يا صاحب الأعيُن البُنية، وحدك مَن ستستطيع أن ترى اسمك مُخبئًا خلف حروفي

وحدك من ستسعىٰ جاهدًا لتفهم مَقصدي

أمنتُ برب عيناكَ، أنا الذي لم يُطيل النظر لأحدهم،
أرغمتني عيناكَ على الغوصِ بِهم
أما بعد فإنني لا أملكُ شيئًا لأفعله عندما يُغلِق القدرُ بابهُ في وجهنا لا أملكُ إلا حروفي وهي تعود في كلِ ليلةٍ مُحملةٌ بالخيباتِ لا تعلم في ماذا أخطأت لكي تُبعدها الريح عنكَ وتُعيدها إلى حيثُما أتت

إن الوصلَ منكَ إن جاء بعد جفاء، بلا مواعيد مُرتبة أو أحداث مُسبقة، يُعيد توازُني ويُحيي الأمل الذي بداخلي
يا سيدي، ما اشتهيتُ إلا وصلُكَ
أكتُب للحُزنِ القابع بداخلِكَ مُنذُ أمدٍ بعيد، فإنْ كُنتَ قَدْ غِبتَ لِأَنَّ الحُزْنَ يَسْكُنَكَ
فيَالَيْتَنِي الحُزْنُ كَيْ أَحْظَىٰ بِسُكْنَـاكَ
أكتُب لصمتِكَ، وشتاتِ روحِكَ وانا المُستمع الجيد حتى لصمتِكَ
ياليتني كُنتُ عِطرَ زهور الربى كي تنشقهُ
وإن طلَّ البدرَ من خِدره فإنما يطلع كي تنظرُهُ
وإن كانت الليالِ قد ضاقت على قلبِكَ،فإني هُنا أُرسلُ حروفي لتُربِتُ على قلبِكَ، وقلبي مسكنُكَ حتى يرجع الأمانَ، والوئامَ لقلبُكَ
أَخبرني كيف أصِل الوصلُ المُنقطعُ بيننا،أُخبرني كيف للطُرقِ أن تقودَني إليكَ وأن أمحو غُبارَ المسافاتِ بيننا،لكي ألقى نظرةٍ مِنكَ تطرحني في غياهب الحُب والليلِ معًا،كي أكون معكَ كالهواءِ؛ أعبثُ بخُصلاتِ شعرِكَ ولا أتركُكَ تتخبط بين الحنينِ والغُربةِ، لذلك أُريد أن أُقاسمكَ عتمة الليلِ ومُرارة القهوةِ، ألا تنطوي على نفسِكَ وتوصِد بابُكَ عليكَ، أُريدُكَ أن تتكئ على روحي، لكي أُضِيؤكَ إن انطفأت،ولكني أيضًا أُحِبُ عتمتُكَ،لإني لا أراكَ بعيني، إنما بقلبي، ألم أُخبرُكَ إنك تليق لتكون حبيبي؟

أنا هُنا معكَ نيابةً عن الذين تركوا يدكَ، وأفلتوك في أمسِّ الحاجةِ لهم، أنا هنا حين تضل طريقك

أنا هُنا أُخبرُكَ أُحِبُكَ وأضمُ يدكَ المُرتجفة لقلبي

أنا هُنا أُحِبُكَ رغم أنوفِ العالم

أنا هُنا أُحِبُكَ بِما أنتَ عليه، في جميع حالاتِكَ وبأسِكَ وانهزاماتِكَ

أمتلك يقين تام أن الذين أهدوكَ الحُب قبلي لم يَكملوه، اختزلوا الكثير من الأحرُفِ التي كان يجب أن تُتلى على قلبكَ

تُحاصرني وِحدة خياراتي من كُل الإتجاهاتِ، لا أُدرك ما أُريد وما أُريد لا يُريدني، ولكني رغم ذلك تبعته إخترتُ أن أكون كاتبًا لعيناهِ، ووددتُ لو أُجيد الرسم لكي أدون عيناكَ بكل الألوانِ،ولكني دائما لا أضع أي شيء بمكانهِ الصحيح، لا الأشخاص ولا حتى قلبي،دائما يقع بشكلٍ خاطئ لا يُرضيني، وبعدها ألوم القدر وأقول أن ذلك لم يكن طريقي ولكنه كان جميلٌ رغم ذلك

وإن قست الدنيا على قلبكَ، وإن مال بكَ الطريق الي حيث تمنيتُ لو تختفي، دعني أُربت على قلبِكَ لكي لا يُفقد، ولكي لا تَشرُد ضحكاتِكَ، أُرسل إليكَ سلامي، وسلامٌ على قلبك حتى يتعافى وعلى روحك الخائفة حتى تأمن

قلبي كان يتلهف بتَمَنُّع ألا تُغادر،ولكن قيده الخوف من إخبارك أنه يُحبُكَ، ذلك ما أراد قلبي قوله ونطقت به عيناي، وإن لم تَكُن تَعلم فا أنا دائما أتحدث بعيناي لذلك أتحاشى النظر إليكَ خوفًا من عدم إستطاعتي تبرير ما ستقرأهُ، ولكن ماذا أفعل فا أنتَ أصبتني في فِكري وفي قلبي ولم أستطع التحرر من ذلِكَ، كان كل ما يجول في خاطري هو أنتَ كل ما المسهُ يُذكرني بكَ؛ كسحابةٍ تُلاحقني حتى أصبحتُ مُدركًا أن لصمودي نهاية وأن قلبي لن يستطع أن يَصمُت أكثر من ذلك

رُبَّما ما كُنتُ عاقلاً يومًا وما أدراكَ ماذا يعني أن تغتالني عيناكَ ويذوبُ قلبي ويبوحُ بكل ما بِهِ، ويَشكو عن كل ما أصابه، كان حُبِكَ جريمةً غير مُعلنةً تُحبب للضحية موتها

دعني أعدك مجددًا، أن أُحبُكَ مجددًا ولا أنسى ما بيننا، دعني أعدُكَ أنه مهما دارت بي الأيامُ لن يُنزع حُبك من قلبي، دعني أعدُكَ إنني سأُكمل معكَ طريقي حتى إذا توقفت في المنتصف والتفتُ خلفي، سامحني إذا مِلتُ بقلبي عنكَ، نحن ذلِكَ الكتاب الغير مُكتمل قِراءته، ولكني قرأتُ قلبي وكنتَ أنتَ إجابة كل ما ليس له أجابة، أردتُ أن أعدك أنكَ ستظلُ في قلبي، كثيرٌ من الوعود قد نطق بها قلبي، قلبي الذي يكره الوعود ولا يعتنقها أنتَ كنتَ كل ما وعده وعاهدهُ

قطعتُ وعداً أن نلتقي مُجددًا وعهدًا على مواصلة الطريق سويًا مهما قست أحجاره أو علت اسواره ولكني مُبتلى بالمسافات تُقيدني تمنع عيناي من رؤيتكَ ولكني أكتُب لكَ رُبما تصلك أحرُفي أسرع مني وأخبركَ إننا في نوڤمبر مجددًا وذكريات وصالنا لم تغيب عن عقلي لحظةً واحدةً وأحوم أُحدثُ عنكَ القريب والغريب لأن طيف الشوق كان أكبر مني وأما بعد، في نوڤمبر أُرسل لكَ ألأُغنيات والأُمنيات لكي نلتقي مجدداً والحُب أن تفي بوعدٍ قطعته أنه الحُب شئت أم أبيت

أتُحِبها

لا

ولماذا لا؟

لا أعلم هي تُرهق عقلي فقط

وماذا عن قلبكَ

قلبي؟ قلبي تائه ولكنه يُريدها

وهذا ليس حب؟

لا، ولكن تعلم

ماذا؟

في غيابها أشعر أن روحي تتلاشى وقلبي لا يرى للحياةِ لونًا، كل شيءٍ باهت وكأنني أنظر للحياة بعيناها وعندما مِلتُ بقلبي عنها؛ مالت الحياةُ عني علمت وقتها إنني عندما تركتها ترحل علمت أنني أُحبها، تَعلم ما زلتُ أتذكر كيف كانت تضحك كيف كانت في أول مرة رأيتها فيها كانت كشعورٍ لاذع جميلٍ ولا أنسى خجلي منها ومقاومتي لعدم احتضانها، كنت أقاوم وبداخلي شيء ينهار، أريد فقط أن أراها مجددًا لكي أخبرها أن قلبي من دونها مهزوم

متأكد أنك لا تحبها؟

ربما ليس حب ولكنها كانت بداية كل شيءٍ بالنسبةِ لي، ومن وقتها ولا أريد أن تنتهي تلك

البداية ولا أريد ان أطوي تلك الصفحة

ولماذا تتوقع أن ينتهي كل هذا

لأنني شخص تُغادره كل الأشياء الجميلة وهي جميلة بشكلٍ مؤذي لا هي بالقرب الذي يُريح قلبي وتكون معي ولا بالبُعد الذي ينهي كل شيء

ولماذا لا تُحدثها

أنا حديثي كله موجه لها بقصدٍ أو بدونه

رُبما أنت مُشتاقٌ لها فقط

كثيرًا

أخاف أن تعلم انكَ المقصود بحديثي وأنني فضلتُ الكتابة عنكَ، على أن أُحادثُكَ، ولكنني ما زلت أضع كلامي بين علامتي تنصيص لكي أَنسبه للقدر وليس لي فا انتَ ما زلتَ قريب لي أكثر من نفسي ولكن ماذا إذا لم أكن كذلك بالنسبةِ لكَ أردتُ فقط ان تَبذُل معي القليل مما يَنطُق به لسانك من حُبٍ أن تُعانقني عيناكَ خوفًا الآن أنا أبحثُ عنكَ أُلملم حديثكَ أو ما اتذكره منه؛ لكي يُبقيني بخير إلى أن تُخبرني بِما أراد لسانك قوله ومنعتُه، ولأن الحُب غالٍ ولا يُبذل إلا في سبيل غالي فا أنا قطعتُ من أجلكَ كل الطُرق وكل الأغاني والكُتب لكي تقرأ لي ولو سطراً لكي تعلم إنني لأجلك قد تنازلت عن كل شيءٍ رفضته يوما ما

مَا زَالَتْ أُمِّي تَتَهِمُنِي بِقَسوَةِ الْقَلْبِ وَتَغضَبُ مِن فِكْرَةِ إِنَّنِي أَسْتَطِيعُ التَّجَاوُزَ، لَم تَرَانِي أَبكِي قَطُّ عَلى فِرَاق صَدِيقِي الَّذِي دَوْمًا حَدَّثتُهَا عَنهُ

تُخْبِرُنِي مَا بَالُكِ لَا تَحْزَنِي عَلَى شَيْءٍ، وَلَكِن يَا أُمِّي أَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَكُونِي عَلَى حَقٍ؛ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكُونَ مَعَ أَحَدِهِم إِلَّا وَيَهجُرُنِي

يَا أُمِّي، أَنَا سَئِمْتُ الْبَقَاءَ مَعَ أَحَد وَسَئِمْتُ الْبَقَاءَ بِمُفَردي

أعلَمُ أنَّ المُشكِلَةَ تَكُمُنُ بِي، سَأَكُونُ دَائِمًا أَمَامَكِ أَنَا الْمُخْطِئُ لِكَي لَا تَلُومِي اخْتِيَارِي، وَلَكِنْ أَتَعلَّمِين كُنْتِ مُحَقَّة، فَلَمْ يَكُنْ بِي أَيِّ مَدَعاةٍ لِلْحُبِ، فَقَدْتُ أَشْخَاصًا كَانَ يَجِبُ أَنْ أَتَمَسَّكَ بِهِمْ أَكْثَرَ، فَقَدْتُ قُدْرَتِي عَلَى الْحُبِ، فَقَدْتُ رَغْبَتِي بِالْحُبِ، وَالْأَهَمَّ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْتُ حُبِّي لِنَفْسِي.

هَزَمَتْنِي نَبْرَةُ صَوْتِكِ الْمُعَاتِبَةُ: "أَتَرَكِك مِنْ عَارِضَتِنِي لِأَجْلِهِ؟ لَا أَدْرِي عَلَى مَنْ أَحْزَنُ يَا أُمِّي، أَنَا أم هُم

لأكتوبر قُدسية لا يفهمها إلا من ملئ الأشتياقُ قلبهُ، رُبما لعودة غائب، أو لرد شارد لقلبهُ، في أكتوبر قد تلاقينا على ناصيةِ حُلمٍ وفي أكتوبر كانت أول أُحِبُكِ ومعكَ كانت كل الأيام كأكتوبر

سأُجيبُكِ هذه المرة بنعم وسأخضع لمحاولاتُكِ لتغيري وكأنني لا أصلُح أن أنتمي لقصائدكِ إلا عندما تعتليني المثالية التي لا أعلم عنها شيءٍ، فدومًا كنتُ انا هذا البطل العشوائي من القصة الذي يخاف من الحبِ ومن ما يتطلبَهُ لأستحقك، دومًا كنتُ في نظرك نصًّا يجب تعديله لكي يليقُ أن يُكتب تحته اسمُكِ، محاولاتُكِ تلك لتقبُلي كانت تؤذيني تجعلني أشعر بالضآلة وإنني سأظل دومًا نصفُكِ الناقص،انا لم أحتاج إلا لإشتاق إليكَ، عالمي بحاجة إلى هدوئكِ وسكينتُكِ وضوئكِ، غيابُكِ يُزيد من عتمة روحي

وللحبِ امشي طريقًا طويلاً واُبعثر فوق خطواتي ورداً لكي
لا يتبعُكَ غيري، لكي أُحِبُكَ وحدي بكُل تفاصيلكَ التي لا
يلتفت إليها أحد،أُحِبُكَ بِما أنتَ عليه،مِن كُل شيء
إسمح لي أن أُحِبُكَ دُفعةً واحدةً لتعلم كم أنا ماهر بالحبِ

تنالَ مقَلتَاكَ مِن قَلبِي ما لَم يفعَلهُ السَيفُ وَالحَربُ، وَتَرمِي بِشباكِ عَينيكَ لِقَلبِي حَتَّى تَجعَلَ للهَلاَكَ إلَى الْفُؤَادِ سَبِيلا، وَإِذَا تَحدثتْ عَينَاكَ وَنَطقتْ؛ سَلَمَ قَلبِي مُعلنًا هَزيمَتَهُ مِن قَبل أَن يَخُوضَ المعركةِ مِنَ الأَسَاسِ

أتلو عليكَ سطور قلبي المُحِب،وأجعلُ عيناكَ تنطقُ بِما لم تنطق أنتَ بِهِ، لآتي لكَ مُحمَّلا بكُل كلِمات الحُبِ؛ لكي أُعايدكَ،ولا أطلُب منكَ كثرة الوصال، ولا إلحاح الإتصال إنني فقط لا أنتظر الأعيادَ مثلما أنتظرُ قدومكَ،وإنني لا أطلُبُ عِيدًا بلا مشقةِ صومٍ، فسأنتظرُ، وإن همَّ فؤادي بطلبِ العونِ لرؤياكَ، وإن أحترقَ فؤادي من ثورة الإشتياقِ،سأنتظر أن يأتيني غيثُكَ

ليتني ما تعثرتُ بأحدٍ قبلكَ، ليت قلبي لم يُخدش قَبلكَ، أعتقد أنه كان سيَضُخ الحب بدلاً من الحزنِ، أعتقد أن عيني كانت ستحتفظ بلمعتها عندما تتلقى الحُب

ليتني أحببتُكَ كَما تستحق بدون أن يعتلي قلبي الخوف، وتتجمع الدموع في مقلتاي كُلما شعرتُ إنني أفلتُ بِكَ لأن يدي بُترت مِن قَبل

ليتني ضممتُ يدكَ وأخبرتُكَ أن لا ترحل

أصبحتُ أمشي حاملاً قلبي، والباب خلفي مُوصدٍ عليّ وحدي،غير مُرحبٌ بي، والهزيمةُ تُلازمُني كمن اعتاد الانصياع لقدرٍ مؤلم، حتى مرارة الحُب لا تُفارق قلبي كَمن ظل طيلة عُمره يَكتُب عن الحُبِ ولم يعش إلا في حربٍ بين المودعين والمُستقبلين على الطُرق بقيتُ وحدي أستقبل هزائمي أودع أحلامي

لا أستطيع البوح عمَّا بداخلي تجاهكَ، ولا كُل حروف اللغة تُسعفُني، حتى إذا أمطرتُ عليكَ بكلِماتي ليلاً و نهارًا فلا أستطيع أن أخبركَ أن قلبي في وجودك هادئ كأنه لم يُكسر قَطّ

استما أجمل أن أتذكرك فتنتابني حالة من الفوضى واللاوعي، أُحادث نفسي وأخلِق من العدم حضورك رُبما دقات الخجل تُداعب قلبي ألان وربما تَهُرب مني كلماتي عندما تُحادثني، لم أكُن يوماً أقوى على حمل هذه المشاعر لكَ ولكن ماذا نفعل إذا تمرد القلب قليلاً ليقع ولا يستطيع النهوض مرة أخرى، جعلته لمحة عيناكَ يتلعثم في نبضه كان يملؤه الأشتياق والخجل ولم أكُن إلا مُشتاقٌ لكَ فلم أمنعه من أخبارك بذلك

أخبرته بتفضيلاتي، وكيف يغدو المرء لامعًا في عيناي فهرول مُسرعًا ليستغنى عن لحيته، لا يعلم إنني مُنذُ أن إحببته صارت كُل تفضيلاتي تحوم حوله

وهل عاشقٌ مِثلي يَترُكُ عيناكَ ليكترث بِما رَغِبَ سابقًا

فلا تلوم قلبي في ذنبٍ قد جرىٰ ذلِكَ إذا أسميتُ أرتواء الروحِ بِكَ ذنبٌ

فإنني حينَ وقعتُ بكَ أصبحتُ رُغمًا عني أستثنيكَ،ففيكَ من الجمالِ ما يُذهل قلبي، بلحيةٍ أم بدونِها

ياجميلي،أشهد أن كُلَ جميلٍ يَليقُ بِكَ،ولا يُثيرُ أهتمامي أحدٌ غيرُكَ لذلكَ أُحِبُكَ بِما أنتَ عليهِ ولا أُريدُ مِنكَ إصلاح شيءٍ أبدًا، سوى قلبي

تملئ المُبررات فمي ما دومت معهم، أخاف أن تظهر شخصيتي غير الجديرة بالثقه فتَهدُم كل ما بنيته أو يُسلب مني فُتات ذلك الحُب المُتبقي لي،يُخيفني انزلاق الكوب من يدي وكأن صوت أنكساره كا صوت لأعلان الحرب، مادومت معهم يُفزعني نداؤه لأسمي أُفكر أي ذنب أرتكبت هذه المرة وإذا كنت بريئه ونُزع عني ميثاق الجريمة فلماذا مازال قلبي مضطرب

سأضعك دائما بين سطوري وإن لم تشاء السطور احتوائك
فا أعلم إنني دائما هنا لأنتشلك من نهاية القصص وبؤس
الحكاية ولتسقط الهمزه ومعها فلتسقط كل المهارات اللغوية
فا أمام عينيكَ تتشابك الاحرُف وتضيع التفاصيل في
التفاصيل، هائماً علي وجه السطور أراكَ هُنا وهُناك فا تُخلق
القصائد من عيناكَ ويُعزف اللحن عندما تسمح لشفتاكَ
بالتحدث فا أراكَ قصيدة وأرى فيكَ كل جمال القصائد، وما
لي إلا أن أصف بعضك يا بعضي وكُلي، قُول لي ألم تتباعد
بيننا الاحرُف وتُفرقنا الأسطُر بما يكفي، ألم تدري أن في
البُعد قد نفذ صبري، أيطول هجر القصةِ لنا؟

مر وقت طويل منذ أن تلاقينا على ناصية حلم وأخذت تمشي بنا الأحاديث، رُبما ضللت الطريق قليلاً ولكن قلبي دائما يعود ليسير على خُطاكَ وأنا الذي لولاكَ ما ذُقتُ الهوى يوماً ولم أكُن عاشقاً يوماً لولاكَ

أغلق عيناكَ يحبيبي؛ فالعيون تَكشف سراديب القلوب ولا أُريد أن يُكشف قلبكَ لغيري، ما أدراكَ ما سيجول في خاطرهم وقتها ولكنهم بالتأكيد سيُحبون أكتشاف أعماق سوداويتاك لأنكَ كُنت وحدك غامض ومُبهر بشكلٍ غامض ولذا وحدي أحببتُكَ

أخبرها أنه يُريدها أن تكون كل شيءٍ لهُ أخبرها أنه يخاف عليها حتى من حُبه يَعُلم أن نهاية العُشاق كسرة القلوب وأن أحدهم سيحمل معه ما تبقى من قلبه والآخر سيتحمل اللوم، كان يُريد أن يَمسِك يدها ليندب على حظهم رُبما لم يفهم ماهية الحُب إلا عندما أمسكت يده و أخبرتهُ إنها تُحبه لا أعلم كمٍ وقتٍ فات وهو مُبتسم ولكنهم ليسوا عُشاق فا نهاية العاشقين دائما الوداع، كانت عيناه لا تتزحزح عنها ولكنه لا يُحبها أو هكذا قد جَمل سطوره لكي يُخبرها ألا يكونوا عُشاق أخبرها أن رُبما ذلك أفضل أو رُبما هو كاذب هي لم ترى تلك الدموع التي نزفها عندما رَحل منهم الأمل في تلك الليلة أو عندما رحلت هي

وما تُوبتُ عن حُبِكَ يوماً فكيف تسألني إذا نسيتُ وصاللكَ أَخبركَ قلبي ما يتلوه عليكَ من حنينٍ ولكن صَدقتُ بالحنين عندما وجدتُ أدمعُي لا تَكُف عن ذِكركَ ناجيتُ قلبكَ ألا يكون في هوى غيري مُتيمٌ ولا تبحث عني في غيري،لا تجعل عيناكَ تتوه بأحدهم لأن بِهم وجدتُ الحُب الذي يبدأ بالتيه ولا ينقضي إلا بالهُدى وانا تائه ولا أعلم كيف ومتى أحببتُكَ انا فقط فعلت

أنت أشجاني، و الحاني وما تمنيتُ أن يُصالحني به زماني، أنتَ ذلك السر الذي يأخذني إلى التغني بالوفاء ذلك الحب الذي لم يقتُله البُعد، رُبما نزعتُ عن عاتقي أطلال من الأعذار وتمنيتُ أن أغلُب لأجلك ثيران التقاليد ولكني أُصارع ذاتي لتمسُكها بك ويأكلني الفِكر في كُل ليلةٍ ولكني أُقاوم أي وجع لأجل البقاء بين ثنايا قلبك، وتعلمتُ أن البقاء آية مُقدسة ومهما رحلت فا أنا باقٍ لأنك أغلى من أن يُمحى أثرك

عزيزي القارئ أخبرني كيف حالك، كيف حال أرقك مؤخرًا هل ما زلت على تواصل مع صديقك أم رحل؟ لماذا تضع علامات تنصيص حول كلامك هل أنتَ لا تجرؤ على قول ما أحزنك بصدق؟ تتذكر عندما أخبركَ صديقك أنه لا يُريدك لماذا لم تحاول مرة أخرى معه لماذا تُردد ما يُحزنك بلغة لن يفهمها، لا بأس أعتذر لكَ، أعتقد أن تلك الأصوات قد زادت هذه الأيام و أرى شحوب وجهك وحديثك مع نفسك بصوتٍ مُرتفع تَطلب من تلك الأصوات الرحيل، لا تحزن أنا هنا سأحتضنك وسأخبرك إنني أُحِبُكَ ودائمًا سأُصلح ما تم كسره، سواء مني أو منكَ أو منهم، فأنا سأعتذر نيابةً عن كُل ما أذاك، لا تخف لديك صديق يمكنه تحمل غضبك وحُزنك، يمكنك أن تُحدثه بطريقة سيئة لأنك غاضب، أو لأن والدتك لم تُعد لكَ طعامك المفضل، ويمكنك ألا تحدثه من الأساس لأنك لست بمزاج يسمح، لا بأس أتفهم حزنك وألمك، أنت تتألم، "وأنا أيضًا أحيانًا كثيره" دائمًا سأعتذر عن كوني عديم الفائدة، وسأعتذر عن شعوري بالغضب تجاه حُزنك وتذمُرك، وأعتذر عن كوني متألم ولا أستطيع أن أُشاركك ذلك، لا أعلم كيفية التعامل مع الخراب بخراب، ولكني أحبك، لا تحزن

كانت أُحِبُكِ تُخيفني في الآونة الاخيرة لا أعلم هل أرى نهاية الطريق من خلالها ولكني أجهل سبب عدم وجود ردٍ لها،انا من أكتُب عن الحُب والإحبة عجزت عن قول أنا أيضا أُحِبُكَ رُبما حُبك أكبر من أن يتحمله قلبي أو أن قلبك أجمل من أن يُكسر من قِبلي، دوماً تمنيت أن أعلم ماذا يعني حُب ولكن الآن أخشاه أخشى أن اتحدث عنه وأُدخله بين سطوري ربما لان الحُب يأتي عندما لا نُريده ودائما يأتي بصعوباته ليست فقط لوعته إنما تضحياته هي ضحاياه

أَدْلالًا هَجَرَتْنِي، أم مَلاَلاً؟ أم صَدُودًا؟ أم قَسْوَةً؟ أم تَجَنُّي؟ وأنَا في ذِكْرِكَ لَمْ أُكُفْ عَنِ التَحَدُّثِ،مُتيمنًّا بِقُدُومِكَ خُلْسَةً، كَمَا كُنتَ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ تُزُورُنِي، والآنَ بَعْدَ كُلِّ وَعْدٍ بِالبَقَاءِ هَجَرَتْنِي، والآنَ أُخْبِرْنِي أيَّ ذَنْبٍ ارْتَكَبْتُ لِكَيْ يَنْقَطِعَ وَصَالُكَ عَنِّي؟ والآنَ أُحَاسَبُ عَلَى كُونِي سَاذِجًا، مُحِبًّا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وبِدُونِ سَابِقِ إِنْذَارٍ يَلْتَعِ شَوْقُ الذِّكْرَيَاتِ قَلْبِي، وَأَجِدُنِي فِي حَالَةٍ مِنَ الأَدْرَاكِ الْمُفَاجِئِ، إِنَّنِي هُنَا وَحْدِي وَمِنْ دُونَكَ، فَقَطْ تَبْقَى لِي مَا كُتِبَ وَقِيلَ، وَلَمْ أَعْتَدِ التَّعَامُلَ مَعَ طَيْفِ الذِّكْرَيَاتِ مِنْ دُونِ صَاحِبُهَا، وَفِي مُحَاوَلَاتِي لِلتَّنَاسِي وَجَدْتُنِي أَسِير فِي ذَلِكَ الشَّارِعِ الَّذِي تَلاَقَيْنَا فِيهِ، لا أَعْرِفُ كَيْفَ أُثُورُ وَتِلْكَ العُيُونِ حَوْلِي وَلا أَعْلَمُ مَنْ سَيُضْمِدُ جُرْحِي مِنْ بَعْدِكَ

أنتَ الذي إن قلتَ لي: طاب المِسا، فما بال فؤادي يرتعشُ، وماذا إذ أخبرتني: أُحِبُكِ؟ هل سأُفصحُ لكَ إنني مررتُ من ذلك الطريق خصيصًا لكي تراني؟ هل سأصفحُ عن تلك الليالي التي مر طيفك بها أمامي، وعن عجزي الكامل أمام لمسكَ؟ ولا أعلم لِما بعد قولكَ تملكَ قلبي الشغف؛ كأن صباحي أصبحَ مثاليًا، وتسلل إلى كياني إن الشمس سطعت فقط من أجلي وأن القمر يُحبني كثيرًا. سرتُ وقتها أُداعب فراشات قلبي وأُخبرهم إنني لا أُريد أن أرى أحدًا بعدكَ، لكي أحتفظ بصورتكَ بداخل عقلي، وتزورني بين أحلامي

إنَّني أُحِبُكِ، ولَكِني أَخْشَى إِذَا بَعْتَ الجَمِيعَ تَبِيعِينِي فَأَعُودَ بِالْخَيْبَاتِ، وَرُبَّمَا ما كُنْتُ عَاقِلًا يَوْمًا، لِذَلِكَ أُصْبِتُ بِسَهْمِ حُبِّكِ، كَانَ قَلْبِي مَجْرُوحًا، وَكُنْتُ مَخدوعًا،كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أُقَحِّمَ الْحُبَّ بَيْنَ سَطُورِي، خِشْيَةً أَنْ يَلْتَصِقَ بِي، وَلَكِنِّي تَعَثَّرْتُ بِكِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَرُغْمًا عَنِّي أَحَبَبْتُكِ بِلا سَابِقِ إِنْذَارٍ، فَقَطْ، أَحَبَبْتُكِ، رُغْمَ أَطْلَالِ التَّقَالِيدِ التِي عَلىٰ عَاتِقِي، وَلَكِنِّي قَبِلْتُ أَنْ يُصَارِعَنِي قَلْبِي وَعَقْلِي لِأَجْلِكِ، وَأَنْ أَكْتُبَ وَأُغْنِي فَقَطْ لِأَجْلِكِ، لِأَنَّهُ وَلأُولَ مَرَّةٍ أَشْعُرُ بِمَا يُسَمُّونَهُ حُبَّ. أَتَانِي حُبُّكِ مُمْزُوجًا بِأَلَمٍ، وَلَكِنِّي قَبِلْتُ بِهِ،وَمَازِلْتُ أُحِبُّكِ، وَأَتَمَنَّى أَنْ أُخْبِرَكِ بِذَلِكَ السِّرِ الَّذِي أَنْفَرَدَ بِالِاعْتِرَافِ بِهِ لِنَفْسِي..

أَرِيدُ أَلَّا أُقْحِمَ الْحُزْنَ فِي حَدِيثِي الْيَوْمِ، أَرِيدُ فَقَط أَنْ أَنْفُرَد بِكُلِّ مَعَانِي الْحُبّ، وَأَنْ نُحَارِب مِنْ أَجْلِه؛ لِأَنَّهُ حِينَ أَرْتَقَيْتُ مِنْ حُبِّ الْحَبِيبِ إِلَى كُلِّ مَا يُحِبُّهُ الْحَبِيبُ عَلِمْتُ أَنَّنِي أَحَبَبْتُكَ، أَخْبِرُونِي إِنَّنِي أَبْحَثُ عَنْ حُبٍ حَالِمٍ لَا أَجِدُهُ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ وَلَكِنِّي أَرَدْتُكَ حُلْمًا أَعِيشُ بِهِ وَلَا أَرِيدُ الإِسْتِيقَاظَ مِنْهُ، حَتَّى إِن مَشَتْ بِقَلْبَيْنَا السِّنِين سَيَظِلُّ الْحَنِينُ سَاكِنًا بِهِمْ، حَتَّى أَسْتَقِرَّ أَنَا فِي شِبَاكِكَ بَعْدَ طُولِ الْمَعَارِكِ الَّتِي خَوضَتْهَا طَوَالَ حَيَاتِي، ذَلِكَ الْمَشْوَارِ الْأَخِيرِ الَّذِي وَجَدْتُ فِيهِ وبِدُونِ قَصْدٍ مَا يَئِستُ مِنْ الْبَحْثِ عَنْهُ وَتِلْكَ الْعُيُونَ الدَّافِئَةَ -حَتَّى فِي لَيَالِي مَارِسْ- كَانَتْ تَحْمِلُ مِنَ الْحَنَانِ مَا يَكْفِي لِيُصْلِحَ قَلْبِي بَعْدَ كُلِّ الْعُيُونِ الَّتِي أَتْعَبَتْنِي، رُبَّمَا أَحَبَبْتُ عَيْنَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ عَيْنَكَ وَمَا تُبْصِرُهُ

أغلقت أَبْوَابُ الْمَنْزِلِ فِي وَجْهِي وَأَنَا أَهُمُّ بِالدُّخُولِ، لَمْ أَسْتَطِعِ الْبَحْثَ عَنْ مَلْجَأٍ آخَرَ، فَضَلَتُ الْتَبَاعُدَ مُنَعاً لِلدُّخُولِ لِبَيْتِ شَخْصٍ لا يُرِيدُنِي، لَكِنَّنِي دُونَ عِلْمٍ فَعَلْتُ، وَوَجَدْتُ نَفْسِي ضَيْفًا غَيْرَ مُرْغُوبٍ فِيهِ يَبْحَث عَنْ أَهْلِهِ بَيْنَ أُنَاسٍ لا يَعْرِفُونَهُ، فَعَلْتُ مَا يُريدون وَأَكْثَر لِكَيْ يُصْبِحَ مَكْوَثِي مَعَهُمْ حَقّي، كُنْتُ أَتَعَمَّد أَنْ أَكُونَ جَمِيلًا وَهَادِئًا لِكَيْ لا أُطْرَد، أَنَا فَقَطُ سَئِمْتُ مِنْ الرَّحِيلِ

وَلَكِنَّهَا مُجَرَّد رَسَالَة مُلْقَاةٍ عَلىٰ الْأَرْضِ، لِمَاذَا شَعَرْتُ بِهَذَا الْكَمِّ مِنَ الْحُزْنِ وَكَأَنَّنِي أُدَافِعُ عَنْ أَشْخَاصٍ فِي عَالَمٍ مَلِيءٍ بِالظُّلْمِ...

لَا أَدْرِي مَنْ أَنْتَ، وَلَكِنَّ الْحَسْرَةَ فِي قَلْبِكَ كَانَتْ كَفِيلَة بِأَنْ أُشعُرَ بِكَ بِدُونِ أَسْمِكَ، وَبِدُونِ مُقَدِّمَاتٍ، وَجَدْتُ الْأَلَمَ يَنْطِقُ فِي الرَّسَالَةِ* *"أَعْلَمُ إِنَّنِي جَبَانٌ وَلَا أَقْوَى عَلىٰ فَعْلَهَا، وَلَكِنَّ مُحَاوَلَاتِي دَائِمًا تُؤَوِّلُ إِلىٰ الْفَشَلِ، دَائِمًا كُنْتُ أُخبِر الله إنني غير قادرٍ علىٰ التكملةِ ولَا أَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ هُنَا وَلَكِنَّهُ لَا يَسْمَعُنِي، تَنَازَلْتُ لَهُ عَنْ أَحْلَامِ طُفُولَتِي وَعَنْ حُبِّ حَيَاتِي فَقَطْ فِي سَبِيلِ أَنْ أَلْقَاهِ، عَلىٰ الرُّغْمِ مِنْ عَدَمِ نَقَائِي إِلَّا إِنَّنِي أَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهِ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ أُخْطِئُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يُسَامِحُنِي، أَعْلَمُ أَنَّهُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَرَى شَيْئًا جَيِّدًا بِي، وَلَكِنْ يَا اللَّه كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ وَلِمَاذَا ذَلِكَ هُوَ حَالِي لِمَاذَا تَسْقُطُ مِنْ يَدَيِّ الْأَيَّامُ وَالْأَحْلَامُ وَالرِفْقَة، حَتَّى أَنَا لَمْ أُعَدْ أُعَهِّدُنِي، أَصْبَحَت الْكَوَابِيس تَزُورُنِي وَأَنَا مُسْتَيْقِظٌ، وَأَصْبَحَ قَلْبِي يَمْلَؤُهُ الثُّقُلُ، وَأَصْبَحَتْ كُلَّ مَا لَمْ أُرِدْ، وَمِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تُنَقِّذَ مَا تَبْقَى مِنِّي، وَأَنْ تُسَامِحَنِي، أَنْتَ الْوَحِيدُ الَّذِي تَعْلَمُ مَا يُثْقِلُ قَلْبِي".

يُؤلِمُنِي الحضور الباهِت الذي يُشبه الشَيء وعَدمُه، لا أستَطِيعُ أنْ أُطمَئِنَّ نَفْسِي بالبَقاءِ، لأنِّي أشعُر بقُرْبِ رَحيلِكَ سَواء أردتُ ذَلِكَ أم لا فَتَمَسُّكِي بكَ يُؤلِمُنِي أكثَرَ مِن تَركِكَ،حَتَّى إن كانَت لَكَ ذِكْرَى لا تُمحَى، لا تُعَلِّقنِي بخِيطٍ أَعلَمُ أَنَّهُ إذا قُطِعَ سَأَقِعُ مَعهُ

طَرِيقَنا كانَ بِهِ رَحيل أكثَر مِن لِقاء، كانَ يُحَرِّكُنا ما بَيْنَنا أكثَر مِن إشْتِياقِنا، عَلى الرَغْمِ مِن وَداعَنا الأخِير الذِي نَطَقْنَا بِهِ دون الرَّحيل، كُنتُ آمَلَ أَلا نَنْتَهِي كأَنَّنا لَمْ نَكُن،أَخْبَرَتَنِي سَأَرْحَل، أَخْبَرَتُكَ سَأَبْقَى، وإن غَدَوتُ مُنْهَزِمًا، أُفَكِّرُ بكَ وَتَلاحَقُنِي ذِكْراكَ، وَحَتَّى إن لَمْ أَكُنْ أَعْنِي لَكَ شَيئًا، لَكِن كَيْفَ أَقْتُلُعُ حُبَّكَ مِن داخِلي؟ كَيْفَ أَنْسَى رائِحَتَكَ؟

هَلْ تَعْلَم مَا هُوَ الحُبّ؟
أَنْ تُدْرِكَ أَنَّ شَخْصًا ما فِي مَكَانٍ مَا، مَكَانٍ مُخْتَلِفًا تَمَامًا عَنْ مَكَانِكَ وَبِلَدِكَ وَثَقَافَتِكَ وَدِينِكَ وَمَعْتَقِدَاتِكَ، يُشَارِكُكَ نَفْسَ الْمَخَاوِفِ وَنَفْسَ الْأَفْكَارِ، وَرُبَّمَا فِي رَحِلَتِنَا لِلْبَحْثِ عَنْ أَنْفُسِنَا نَتَعَثَّرُ بِبَعْضِنَا، وَرُبَّمَا تَخْتَفِي رَغْبَتُنَا بِالْبُعْدِ مَا دَوْمنا مَعًا، وَسَتَنْبُتُ لَنَا أَجْنِحَةً جَدِيدَةً قَادِرَةً عَلىٰ حَمْلِنَا من جديد .

إن كان وقتك يسمح لي لكُنتُ أخبرتُكَ عن كم الهزائم التي عشتُها بسببك، وعن إنني لم أعُد قادرًا على الحبِ، رُبما خاننني التعبير فا أنا لم أعُد أصلُح للحُبِ،كنتُ سأُخبركَ عن المرات التي لوح بها قلبي لأشياء أرادها بشدة ولكنها ليست من حقه وكنتُ أنتَ من ضمنهم، كنتُ سأُخبركَ أحبكَ بدون خوف من الحب وماهيتُه، كُنت سأُخبركَ أن تسمع صوت أفكاري الذي ينهش عقلي في كُل ليلةٍ،ألا تسد أُذنيك عن صوت إنكساري، كُنت سأُخبركَ ألا تُصدق شجاعتي الزائفة،كُنت سأُخبرك ألا تجعلني أقول لا في أمَسّ حاجتي لقول نعم

لا أستطيع تذكر ما أسعى لأجله ولِما أسعى من الأساس، رُبما فقدتُ رغبتي في إكمال طريقي، لا أعلم من أكون ومن سأكون أو مع من سأكون، أشرُد أُفكر في غلطاتي أتأمل أن لا أُكررها أن لا أندفع مجددًا،ألا يخونني الطريق الذي سأدفع فيه جزءًا من عُمري، اتأمل غدٍ أفضل وفي كُل غد أتأمل غدٍ أفضل

أنتَ تُشبه المنازل القديمة في حواري اليابان، تُشبه تلك
الألحان التي لا يهواها أحدٌ إلا مَن كان محظوظٌ مِثلي
أنتَ تستطيع بعثرتي وترتيبي في آنٍ واحد
أنت كقلبِ طفلٍ صغيرٍ لا يعلم للشرِ مَدخلاً
أنت يا أبسط أشيائي وأجملهم،ما أجملكَ وما أجمل الجميل
الذي جَملكَ
أنتَ كالأحلامِ الوردية، كحباتِ المطر
أنتَ السكن والوطن، أنتَ اللحن والشجن
يا كل الحياة يا سحابة المطر

أنتَ جعلتَ قصة حبي غير مُكررة، فريدة من نوعِها، حتى أحرُفي تنساب مني من دونِ مجهودٍ، حتى عيناكَ أنقذت الجميع وأغرقتني، في حضرتك لا يغتالني رُصاص الواقع، في حضرة الحُبِ لا يوجد مكانًا للعقلِ

بضعة أحرُف مِني لكَ،ولأجلكَ دائمًا سأكتُبُ،سأكتُبُ عن الحُبِ الذي طُمِسَ، وحُكِمَ عليهِ بالموتِ، سأكتُبُ أن حُبك كان ذخيرتي للأمامِ، سأكتُب دومًا لكَ على أمل أن تقرأ ولو سطرًا لي وتصلك رسائلي التي لم أُرسلُها بعد

الكاتبة: استير ثابت

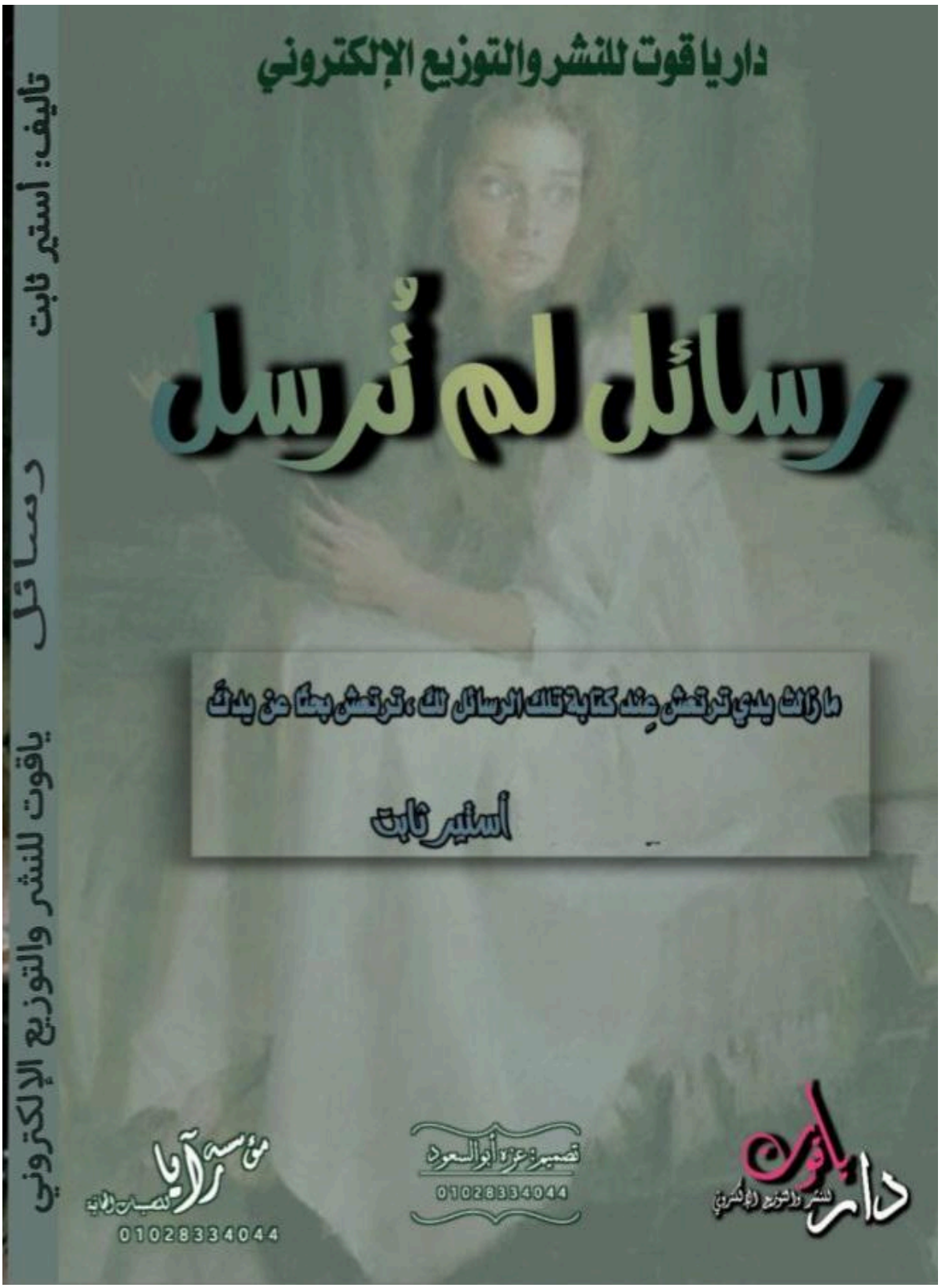
دار ياقوت للنشر والتوزيع الإلكتروني
تأليف: أستير ثابت
رسائل لم تُرسل
ما زالت يدي ترتعش عند كتابة تلك الرسائل لك ، ترتعش بعنفٍ عن يدك
أستير ثابت
تصميم: عزة أبو السعود
01028334044
01028334044